قصائد تكريم خليل مطران

في الميزان

للأستاذ علي متولي صلاح

— ٢ —

وكانت ثانية القصائد التي ألقيت في تكريم مطران قصيدة الأستاذ عبد الرازق محيي الدين المفتش بوزارة المعارف العراقية وكانت قصيدته — في الحق — غاية في الإشراق والبهاء والنصاعة، وكانت الموسيقى، وكان الجرس العذب الشجي شائعين في جميع أجزائها ...

وكانت « الحضارة » واضحة جلية فيها، ولعل أصدق وصف يوصف به هذا الشاعر أنه الشاعر « المتحضر » ! واعتقادي أن لحياته الخاصة، ولماضي أيامه، ونظام عيشه، دخلا كبيراً في ارتقاء شعره وأخذه هذا السمت الرفيع وإن لم أنل شرف التعرف إليه.

وقصيدته في جملتها قطعة موسيقية متناسقة متسقة لا ترى بها نشوزاً ولا تحس فيها انحرافاً عن النهج الموسيقي القويم، وهي تغريك بقراءتها إغراء قوياً ملحاً، وتأخذ بك إلى غايتها دون توقف أو تمهل أو تراخ، فليس لك عن تمامها معدىً أو منصرف ...

ولقد استطاع أن يضفي عليها جواً شعرياً صافياً نقياً متعطراً، وكان له فيها — إلى ذلك — معان رائقة طريفة ما أحسب الكثير من شعرائنا المعاصرين يأتون بمثلها وتتفتح لهم مغاليقها إلا من عصم الله !

وقد وصف فيها « الشاعر » الشاعر لذاته مطلقاً أروع وأجل وصف، فبيّن خصائصه التي يجب أن تكون، وميزاته التي يجب أن تتوافر، وأوضح طريقه الذي يجب أن ينهج، وفلكه الذي ينبغي أن يدور فيه انظره يقول عن الشاعر إنه :

آلة مسحورة تحيا متى ... فنيت بالشيء روحاً وخلالا
ضلّت الألباب عن إدراكه ... ومضت تخطب رشداً وضلالا

وانظر قوله عنه ممثلا في شخص مطران :

الغواني البيض ما زلت لها ... فاتناً ... تُوليك حباً ووصالا
والمعاني العصم ما زلت بها ... أكثر الناس اقتناصاً واعتقالا
تتحدى السرب في شاهقة ... وتعاف السهل للناس مجالا ...

وانظره يقول عنه هذا البيت الطريف الرائع البديع :

مصلح في غير دعوى مصلح ... ونبيّ لم يكلّفنا امتثالا ... !

ولعل من كمال الجو الموسيقي الذي أحاط بالقصيدة من كافة جوانبها أن اختارها الشاعر من هذا البحر الغنائي الرقص « الرمل » ...

وهو وإن يكن قد اضطر في القليل جداً من أبياته إلى ضرورات كنا نود لو تنزّه عنها مثل قوله :

جئت والنهضة فينا طفلة ... بعدُ ... لم تبلغ فطاماً أو فصالا.

والفطام والفصال بمعنى، ومثل قوله يصف الشاعر « وعاذا تتحامى شره ؟ » . فإن هذه العبارة فوق مجافاتها للغة الشعر وللغة هذه القصيدة خاصة، فإن الشاعر ملاك رحيم، وليس بالشيطان الرجيم ! وليس وراء الشعراء هذا الشرّ المستطير، وهذا الويل الكبير الذي ينهيّبه الناس ويتّقونه ويلتمسون الوسائل للنجاة منه ! وصدق الذي قال : « أنتم الناس أيها الشعراء » . إلا أن

فيقرؤها القارئ ويعجب بها لأنها تعبير صادق عن شعور صادق، ويقرؤها الوالد غير الشاعر فيرتاح لها ويجد بين أبياتها التنفّس الذي أعياه البحث عنه ليفرج فيه عن أحاسيس طال عليها الكظم.

وهكذا الشعراء في كل أمة وفي كل عصر يحملون عن قومهم ما لا يطيقه القوم، ويذيعون ما لا يذيعه غيرهم فتجري على ألسنة أقلامهم أرسال العواطف. فهلا سمحتم بأن يقولوا ما دام في قولهم راحة لغير الشعراء !

قال صاحبي وقد بدت عليه علائم الاقتناع :

— إذن فالثناء لا نقبله من والد لابنه مادام الوالد غير شاعر؛ أما الوالدون والمحبون الشاعرون فنقبل منهم.

قال الشيخ :

— هو ما قلت، نقبل منهم.

بروت أباظة

٢٨٠٣١

هذه هنّات هيّنات جداً لا تضيره في شيء ، ولا تنقص قليلا من قصيدته الرائعة التي نباركها عليه ، ونشدّ على يديه مهنئين طالبين ألا يسكت — ما وسعه الجهد ووانته الظروف — عن الإنشاد ، وألا يسلم إلى الصمت القياد ، وسبحان من له الكمال وحده ...

وكانت ثالثة القصائد لشاعرنا الأستاذ محمد الأسمر ، وقد وجدتُ شيئاً بنفسي يرجع بي وأنا أقرؤها إلى الوراء لم أتبيّنه للوهلة الأولى ، غير أنه أخذ يدفعني دفعاً قوياً شديداً إلى الوراء كلما أمعنتُ في قراءتها حتى وجدتني أردّد معلّقة عنترة العبسي :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟؟

ولكنني ما كدت أهتدي إلى هذه المعلقة حتى أوغلت في قراءتها وتركت قصيدة الأسمر؛ ومن وجد البحر استقلّ السواقيا!

أراد الأسمر أن يقلّد القدامى ، فنظر وأطال النظر في هذه المعلقة ، ووقف وأطال الوقوف عندها ، علّه يقول كلاماً فيه منها مشابه وملامح ، ولكنه عاد من النظر والوقوف بظلٍّ باهت ، وصدى خافت

على أن ألفاظه كانت بعيدة عن جرْس الشعر وماينبغي له من تخيّر و انتقاء واصطفاء ، وهل من الشعر قوله :

قدّمتهم نحو العلا فتقدّموا والفضل فضل مقدّم المتقدم !

وهل من الشعر كذلك قوله .

هذا ... وكم لك من شمائل حرة هي «في الحقيقة» روضة المتوسّم

أو قوله :

من شاعر يثني عليك وناثر هو شاعر أيضاً وإن لم ينظم

أو قوله :

صورت جنة ظالم وجحيمه حتى الفناء وآهة المتألم

ولا أدري ولا المنجم يدري كيف يكون التصوير إن خلا من آهة المتألم وغناء النشوان وهما أدنى ما ينبغي أن يقال !

وفي مقالنا القادم إن شاء الله سنتناول القصائد الباقية وهي لشبلي ملاط وعبد الغني حسن وللمحتفل به .

(المنصورة) **علي متولي صلاح**

(الرسالة) للأستاذ الكاتب رأيه في شعر الاستاذ الأسمر ، والرسالة لا توافقه في جملة ما يرى .

في الخضم . . .

للأستاذ الموضى الوكيل

طال ليلي ، وغام أفق صباحي هل لديكم من بلسم لجراحي

يا مدير الأقداح ما بالك اليو م تدير الهموم في الأقداح

أنا في سطوة الخمار ، وما أح سب أني منها مدى الدهر صاحي

وكأن السنين أشباح ليل ملأته قوافلُ الأشباح

وكأن المنون غفوة غاف وكأن الحياة صحوة صاحي

طرقت راحة الزمان على قل بي كطرق المستعجل اللحاح

يا صديق لا تلحني حين أبكي فبكائي رأيته كصداحي

رب لاح من الصحاب حكيم خبر الأمر فاغتدى غير لاح

رب دمع أبيحه في قوافٍّ ودمع في القلب غير مُباح

وأنا اليوم أعزل يدفع الدهر ر بكف والدهر شاكي السلاح

رحمـــــة ! . .

للآنسة الفاضلة دنانير

يا أيها الروح الغريب الحاني يا مؤنسي في وحشة المكان

ومنقذي من قسوة الزمان ألهب شعوري واسر في جناني

عاطفة قدســـية النيران

نجيتني من مجهل سحيق ســـد على ثلجه طريق

ذر الهوى يبعث بالحريق ويشعل الدماء في عروق

فرعدة القرور في كياني

ما زلت تحت وطأة الأعوام أخبط في تيـــه وفي ظلام

حتى تنزلت على أيامي روحاً من الضياء والسلام

يهدي إلى شواطىء الأمان

يا رحمـــة من رحمات ربي هل نار سيناء أضاءت دربي

أم قبس ألقيتـــه في قلبي فأشرق الكون بنور الحب

وفاض بالعطف وبالحنان

لما تسمعت حنون شدوي يقطر دمعاً من أسى وشجوِ

حنت ، وانطلقت تهفو نحوي تهتف : يا أختاه ، أنت صنوي

نحن بخد الدهر دمعتان !.

نحن بخد الدهر دمعتان من أدمع الأشواق والأشجان

إن يكن المزار غير دان فقد تلاقى في الهوى القلبان

وائتلفت على النوى الروحان

وانساب إشعاعك من بعيد على بقايا هيكلي المجهود

فاخضر من بعد الذبول عودي واهتز للحياة من جديد

قدست يا محي الرميم الفاني